

حدائق الرّقاد

شعر

مصعب تقي الدين

حدائق الرقاد



الكاتب: مصعب تقي الدين
عنوان الكتاب: حدائق الرّماذ



ضمة للنشر والتوزيع، سيدي عيسى، المسيلة.
البريد الإلكتروني: dammah.nashr@gmail.com
Facebook-Twitter-Instagram: @dammahpub
www.dammahpub.com

الطبعة الأولى: 2021

ر.د.م.ك: 9-13-801-9931-978

الإيداع القانوني: أوت 2021

جميع حقوق النسخ والتوزيع في العالم العربي ©. منشورات ضمة 2021
لا يسمح بنسخ أو استعمال أو إعادة إصدار أي جزء من هذا الكتاب سواء ورقياً
أو إلكترونياً أو أية وسائط أخرى، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله
بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي من الناشر. تستثنى منه الاقتباسات القصيرة
المستخدمة في عرض الكتاب.

الإهداء

إلى من؟

يرهقني التفكير في ذلك الذي / أولئك الذين
سأعُدُّ أسماءهم حتّى أهدي لهم نَفْسِي، لقد
سبق و وزّعت أجرائي لتصبح في كلّ الجهات،
أليس هذا كافياً؟

كيتيمة في ليلة الميلاد تلتحف السّواد،

أو ربّما أثر القصائد حين يصحو في مآقيها
السّهاد، أو علّها أحلام من منحوا الغياب سنينهم
مذ ودّعوا عمراً تآكل في البلاد، هي ذي القصائد
كالحدائق حين يزهر في مراتعها الرّماد.

عتبة لا بدّ منها

يراهنون على غيري وتؤمن بي
كما يموت حواريّ فداء نبي
حربٌ ولا جيش لي إلا أصابعها
تقول للخوف : « لا تعصف بقلب صبيّ »
بالدمع عمّدت الشعر الذي بدمي
والدمع أصدق إنباء من الكتب
أمّي النبيّة أوحى لي وآيتها:
« قل باسم ربك للدنيا أنا عربي »

عتبة ثانية لا بدّ منها

سأقرأ شعراً بذيئاً فهذي السجائر
لا نيكوتين بها أوحشيش
وتلك الكؤوس بكت غربة الخمر
فالخمر أجمل من أن يموت فدى نشوة
وهو أضعف من أن يعيش
ولأنّ المخدّر صار يُخدّر بالصّبر والصّبر ملّ
من الكذب التّمطي
بأنّ القناعة كنز الجياع وأنّ الحصر إذا وجد
الحبّ أنعم من قُرْشٍ من حرير وريش
سأقرأ شعراً بذيئاً بذاءة عينيك حين تضيقان
كي تتوسّع بقعة حزن
هنا فوق جرح يسيل
بذاءة حلم تردّده جارتني عن أبيها العليل
بأنّ الدّعاء كفيل بإحيائه وتجرّعه قطرات
الدّواء مذاها بصبر جميل
ومنذ جنازته لم تقصّر

تقول: تصبرّ مضى جلّ حزني ويبقى القليل..

سأقرأ شعراً عن الحبّ

هل تعرف الحبّ يا صاحبي؟

كائنٌ مستحيل

تعلّقه النّائحات على باب -عشتار- علّ

الحبيب من المستحيل يجيء

يطارده الحالمون سهامهم النّظرات

النّصال المواويل

يركض مثل غزال على حافّة الأفق

يركض..

يركض..

يركض..

نحو القيامة لا جنّة بعد حدّ السراط ولا ملكٌ

تحت عرش الأمانى يضيء

سأقرأ شعراً عن الحبّ حتّى أخلّده

بكلام بذىء

وأمنحه شكل أنثى تعرّت على حافّة الوقت

تغري الجياع

بعيدا.. ولكنّه لا يجيء

سأقرأ شعراً بذيئاً عن الطُّفل غنّوا له عن رؤى
وطنٍ غارقٍ في الأساطير

عن ملحقات الجبال

يرددها ويحيي الرجال

ويكبر...يكبر فيه التّوهم أنّه من خير شعب
يسطر تاريخه بالنّضال

ويفتح عينيه حين يشبُّ ويكبر في شفّيته
السّؤال:

«بلادي إذا كنتِ أنتِ التي في المقرّر من
أنتِ في صفحات الشّوارع والأرصّفه؟

وحلمي الذي قلتِ أنّ الأوائل قد زرعه متى
يأذن الوقت كي أقطفه؟

وإن كنتِ أنتِ التي في التّشيد وأقسمت
بالتّأزلات

فمن حضر القسمة المنصفه؟»

سأقرأ شعراً بذيئاً بذاعة حسرته وهو يمنح
للبحر أعوامه والرّفاق

بذاعة أمّ تعدّ الخطى في الرّفاق

وتسألها: «هل رأيت الذي غاب؟»

والدمع في مقلتيها استفاق

وهذي القصيدة لا فرق في وزنها
بين أم هنا يسكن الحزن في ناظريها
وأمّ هناك تعتّق أحزانها بالمواويل
لحنها بالرّصاص العراق
وبينهما في حروفي قرابة
حزن وموت ودمع وعمر مراق
سأكتب في معجم الوقت أنّ البذاءة كلّ
بديل عن الوقت والحلم والأمنيات السّعيدة
وأنّ البذاءة ذاك التّزوع إلى سكن
في بلاد جديدة
سأقرأ شعراً بذيئاً وأغلق نافذة الوحي بعد
القصيدة
لأنّ البذاءة... كلّ البذاءة هذي القصيدة.

آيات من سفر الآباء

نَبِيٌّ صِرَاطَكَ أَنْ الْقَوْمَ مَا صَعِدُوا
إِلَّا إِلَيْكَ وَفِي أَعْصَابِكَ اخْتَشَدُوا

إِلَى الثَّرِيَّا مَدَدْتَ الرُّوحَ أَغْنِيَةً
ظُمَاى تُنَاشِدُ نَبْعَ الضَّوءِ: ثُمَّ عَدُّ

تَصِيحُ بِالْغَيْمِ: أَوْسَعُ.. إِنَّ فِي وَتَرِي
مَقَامَ عِشْقٍ وَقَلْبِي نَاسِكٌ عَرِدُ

«مَنْ هُمْ؟» أَحَاطَ بِكَ الْبَحْرُ الَّذِي ارْتَعَشَتْ
أَنْفَاسُهُ وَطَعَى فِي وَجْهِهِ الرِّبْدُ

يَا بَحْرُ، حَسْبُكَ، لَا تَجَزَعْ؛ فَهَمَّ عَرَبٌ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَعْرِفَ الشَّطْرَانَ قَدْ وُجِدُوا

مِرَابِطُونَ يَكَادُ النَّخْلُ يَسْأَلُهُمْ
فِي أَيِّ قَرْنٍ إِلَى الصَّحْرَاءِ قَدْ وَقَدُوا؟

أَجَابَكَ الْمَوْجُ: كَانُوا... ثُمَّ مَا لَبِثُوا
-إِذْ مَرَّ ذَيْبٌ وَهُمْ لَاهُونَ- أَنْ شَرَدُوا

مَا بَحَّ نَائِي عَلَى آثَارِ غُرْبَتِهِمْ
وَلَمْ تُدَقِّ نَوَاقِيسُ إِذَا فُقِدُوا

صَرَخْتُ: كَلَّا... هُمُ الْبَاقُونَ مُذْ نَحْتُوا
آيَاتِهِمْ فِي جَبِينِ النَّجْمِ وَاتَّحَدُوا
وَهُمْ -إِذَا مَادَتِ الدُّنْيَا بِرْلَرْلَةٍ
وَصَاحَ فِيهَا نَذِيرُ الْمَوْتِ- مَا ارْتَعَدُوا
مَدُّوا جَذُورًا بِهِذِي الْأَرْضِ ثُمَّ عَلَوْا
سُمُرًا جَبَالًا عَلَى أَكْتَافِهَا سَجَدُوا
فَأَطْرَقَ الْبَحْرُ.. قَالَ: الْآنَ سِرُّ بِهِدَى..
كُنْ حَيْثُ طَابَ ثَرَى الْآبَاءِ يَا وَلَدُ
مَنَاسِكُ الشَّوْقِ فِي مِيقَاتِهَا اكْتَمَلَتْ
وَقَلْبِكَ الطِّفْلُ يَتَلَوُّ: قُلْ هُوَ الْا (أَحَدُ)
رَوَى حَنِينُكَ سِفْرَ الْحُبِّ صَحَّحَهُ
نَبْضُ الْجَوَى، ثُمَّ كَانَ الْمَتْنُ.. وَالسَّنَدُ

أَغْنِيَةُ لِبَنَاتِ الشَّمْسِ..

لا تطفئي الوحي سرُّ اللحنِ ما انكشفا
وفي الضلوع مقامٌ بعدُ ما عُرِفَا
وبي شتاءٍ قديمٍ غامٍ أسئلة
حَيْرَى تُطارِدُ معْنَى في المجازِ خفا
يا آيةً أدَّعي أنِّي نَفَخْتُ بها
رُوحًا.. عَجَلْتُ ولم أَكْتُبْ سُدَى صُحُفَا
وقلتُ: كوني كما شاء الحنينُ يدًا
تقول للدمعِ في خدِّ الغزالِ: كَفَى
سنرسُمُ الحُبِّ في هذي الرؤى أَقْفَا
يُهدي عطورَ بناتِ الشَّمْسِ مُعْتَكِفَا
نخلا.. ولا طللَ استَقْوَى على رجلٍ
يقول منكسرًا: «يا صاحبي قفا»
عن اللواتي مَنَحْنَ الماءَ سُورَتَهُ
وقلنَ للطَّيْنِ: «رَتَّلْهَا وَكن خَرْفَا»
أمسِ اكتحلنَ بليلاً غابَ سادِنُهُ
فبَلَسِمِ القلبِ يا جوري ونزفا

والآن يُدْنِينِ عَنْقُودَ النُّجُومِ إِلَى
كَفِّ الصَّبَايَا إِذَا مَا كُحِّلُهُنَّ عَفَا
لَمْ يَشْرِبِ الْجُبُّ مِنْ أَعْمَارِهِنَّ فَقَدْ
كَفَتْ (جميلة) ذَاكَ الظِّلُّ مُرْتَشَفًا
فَالْأَرْضُ أَنْثَى عَلَى أَكْتَاكِهَا اكْتَمَلَتْ
مَوَاسِمٌ.. أَوْرَقَتْ جَنَاتُهَا شَرَفًا
صَوْتُ سِيَعُلُو إِلَى الْجَوَازِ مِئْذَنَةً
تَتْلُو الصَّلَاةَ — «لَامٍ» عَانَقَتْ «أَلِفًا»

مسرى

هَبَّيْ بقلب الليل وانسي كل قنديل يراقص
نوره الوجه الحزين

صحّي صغارك خلصة

وترقّقي في قضّ أوتاد الخيام فللأديم مسامعُ
ستشي بسرّك فاكتمي

وضعي الأصابع فوق كلّ فم

مخافة أن يند من الشّفاه

صدي يقضّ مضاجع القوم «الذين»

واسري بهم في رهبة الوادي المسجّي في
الظلام ويممي غرب القرى

وتلمّسي بالخطودربك والدّعا أن لا تكونوا
مدركين..

وتحملي زاد الصغار وثوبك البالي على الظهر
الكسير..

لا تسألني أين المسير

الأرض لا تسع الجميع
فتقشفي في كسرة الخبز التي طمع الدّباب
بها وسيري..

الماء لن يسع الجميع..
لن يصدر القوم الرّعاء..

وليس موسى رهن دمعك فارحلي
وهبي شرايين الجوى زلفى إلى عطش
الهجير..

الأرض لا تسع الجميع؟ من الجميع؟
الخائفون؟ الخائفون؟ القانعون؟

الضاحكون -لجهلهم- إذ أسلموا الأجساد
تفترش الحصى والشوك في غزل الحصير؟
لا والذي لم ينس أن يهب الفراش الدّفء في
زمن الصّقيع..

إنّ الجميع تجمّعوا حول القطيع
والحقل ليس ولايةً للذّئب والحمل الوديع..
فامضي إلى وطن جديد لا يقايز جائعاً
بالذّل كي يهب الرّغيف
وطن رحيماً يستحي أن يخطف الأنفاس
من قلب الضّعيف

وطن سيبكي حين يلمح في الدّجى شيخاً
توسّد بالرّصيف..

وعيون ثكلى -لست أدري هل بكت أم أنّه
المطر الخفيف-...

امضي إلى وطن جديد
الأرض لن تسع الجميع..

عن الأرض والأغنيات القديمة

جاثما يتصيد وجه بلادي يرباط في الراية
يتحين: أول طفل تباركه الشمس.. أول سنبله
قبلتها شفاه الندى
.... كي يمد إلى الأرض رايته الباقية..
إنه الغيم... خوف قديم توكأ قلب المدينة
حتى يجرعها خمرة الهاوية
هذه الأرض مذ خلقت تشرب الدمع والدم
تقتات من تضحيات الشهيد
هذه الأرض لم يك في مرة في ملامحها
السمر عيد
واسألوا- بن مهيدي- يحاوره الموت في غلظة
فيرد: «أنا ههنا»
ويغيط الردى حين ينو إليه بوجه سعيد
كنت صاحبه.. دفعتنا المآسي لنؤمن بالله
والأرض والجبهة العاليه
كنت صاحبه جاثما أتحين:

أول نصل تباركه الشمس.. أول سنبله أعدمتها
السنايك.... أول حنجرة غرها الخوف.... أول
آه من الأرض ثار الغبار لها...

كي أسلم للموت رايتي الباقيهُ
... صاح قربي شيخ: «إلى النصر!»

شمر ساعده ثم جرد سيفاً قديماً... وقبل
التلاحم جرده السهم أيامه الخاليهُ
صاح في الرفاق: «اختبي»

لم أجد غير دعوة أُمي لألقي برأسي على
صدرها كي تجنب جبهتي القاضيهُ
إنها الحرب! هل تدرك الآن؟ كل السهام
إليّ، وكل السيوف عليّ غدت كالعناقيد
أثقلت الداليهُ

صاح بي صاحبي -بن مهدي-: انتفض
وتجرد من الخوف والحق بقاياك نحو الغبار..
وجملتك التاليهُ:

إنه الموت... شيء بسيط... قديم....

هنا أوهناك

وقفلنا إلى أرضنا الطاهرة

صبرنا يعجز الصخر أن يكسره

ونحيي القوافل من شهداء ينامون في وحشة

المقبره

ونحْتُ الخطى.. سوف تمطر بعد قليلٍ
نمرَّ على قبر - ديهيا - ثمَّ نحِّي خيالاً يناشد
في القلب أن يبصره
عائدون إلى أغنيات القدامى
عائدون إلى صوت - ديهيا - حرّاً يناجي
الحما ما
ويقرئ كلَّ الحفاة العراة الشريدين في الحرب
والحبِّ والأمنيات السَّلاما
عائدون لتاريخنا وإلى الطَّين أسمر مثل
الوجوه التي تقطف القطن أبيض كالعلم للأُم
تحمل جرَّتْها بشمالٍ وطفلتها بيمين وبالقلب
فرحتها وهي تبصر عيداً يحيي اليتامي
عائدون إلى «أَمْنَا.. صوت إفريقيا»
والجفاف يكاد يزور قرانا ليصبح هذا المدى
مثل كفِّ عجوز تعدُّ قبور الرِّجال الذين قضوا
في السَّهوب
سنيمم أحلامنا للجنوب
ذلك البرق يئشر بالغيَم هذا المساء
سوف تمطر كي يغسل الغيم ما خالط الكحل
من دمة في وجوه النساء

عائدون إلى وجه -ديها- وهي تغني: «أنا
حرّة في الجزائر»

والزّغاريد غارقة في الحناجر

هذه الأرض مثقلة بدموع الحرائر

منذ أن فتح الفجر أجفانه في تواريخنا
والحروب تزور قرانا تسفّ دمانا وتغرق في
الظّلمات المصائر

والصّغار هنا يحضنون البنادق لا يحملون
العرائس

والبنادق لا تعرف الفرق بين المساجد في
عزفها والكنائس

يا -ديها- بوحيك غني لهم علّهم يطرحون
البنادق في خندق

يحملون الطباشير كي يرسموا وطننا في جدار
المدارس

صوت - ديها - يأتي من البحر يحكي مآسي
العبيد

ويمدّ إلى البرّ ما ظلّ من جثثِ الراحلين
إلى العالم الحرّ يلقي جماجمهم لا يفرّق بين
العجوز وبين الوليد

ذلك البحر يحفظ أسماءهم ويخبئها كي

يلقّنها بعدهم لصباحٍ جديد
عائدون إلى صوتها.. وإلى سمرة الأرض في
كفّها والمصير
عائدون إلى لحظةٍ سبقت خلقها وإلى لحظةٍ
لحقت صمتها
ولسحر قرانا وهذا المساء الموشى بأحلامنا
والحرير
ولأطفالنا يركضون على ضفّة النّهر.. والنّهر
صافحهم بالوداع الأخير
فاحملي ما تيسّر من حبّنا حين تمضين
للغيم والآخره
حين ينهمر الغيم بالأغنيات ودمع -ديها-
ونرقص في لحظة ماطره
نستحمّ بأجمل ما قيل في حقّ أثى
ويستسلم القلب للّحظة الآسره
إنّها لم تكن تشبه امرأة غيرها إنّها لم تكن غير
أغنية ساحره.
إنّها الجسر ما بين روحي والآخره.

أحبك مؤمنا

ظلي اذكريني
وانشري عطر التهجد فوق وجهي الطيب
وكشمعة آنستها فجرا
ذريني نائما
وتألمي في الغاديات قلبي
أغفوحما ما قرب
مصحفك المرصع بالدموع
لتقرئي لي ما تيسر
والصلاة على النبي..
أنا طيب..
قلبي النقي إذا أحب صبية
جعل النجوم لآثا في جيدها
ودعا الإله برعشة الصوفي
أن يدنو إليها موكبي..
قلبي الصبي..

يحتار في النظرات
لوترنوا إليه صبيّة..
لا يدرك السر المخبأ في ابتسامتها
وهل فتنت به
أو أنها لم تعجب..
فتقبليني هكذا..
لا تعجبي...
لوقلت إني من صميم براءتي
صليت حتى تخطيبيني من أبي...
ظلي اذكريني نسمة
أنستها وقت الطواف على المقام الطيب
وإذا سعت لشوط -هاجر-
فاعلمي أنني بصادق خاطري
أسعى إليك ملبياً
أشكو إليك تعذبي
ولكل فج يرذل الحجاج
إلا خافقي يرجو بعينيك البقاء مؤملاً
وطنا يلم تغربي...
طوفي معي..

واحكي أقاصيص الصحابة لي
هنا الفاروق عرف نفسه
لوزير كسرى..
ههنا الصديق آمن بالنبوءة
روح عثمان النخيل يضمها
وعلي طفل صادق لم يكذب..
(أثبتُ أحد)... فوق ارتعاشتك
الشهيدان المصدق..والنبي..
ظلي اذكريني رشفة آنستها
والصوم يلفظ ما تبقى من حرارته
قبيل المغرب
قد أعلنت تلك الصوامع
حين لونها المغيب بحمرة
إفطارنا...
فخذي الغيوم لتشربي
وتألمي وجهي أراقب حالما
كيف الشמוש تخبأت خلف التلال
وشمس وجهك سمحة لم تغرب
ظلي اذكريني قبلة آنستها

والوجه محتار لأي الأرض يهفو
حين تخنقه الهموم
يكاد إيمان الجوى ينسلُّ خلف شفيف حزن
ذائب في دمه المتسربِ
فرّي إلى الله
اشهدي أن لا إله سوى الذي
خلق السماء بأمر كن... لم يتعبِ
ظلي اذكريني طيبا
وتفهمي أني رسمتك هكذا
حتى يحبك مؤمنا.. قلبي الصبي
وإذا رأيت مواكب العشاق حجت
لي لأنك كعبتي
لا تعجبي
صلي إذا ذكر النبي..

حلول

كم سوف أغمس في دمي من أحرفي
ليكون وجهك سورة في مصحفني
لي آخر البركات من كتب السماء الأرض
تعرف كيف إن لم تعرفني؟
فتألمي صبر الجبال لأنها
وجه يجسدني بأقدم موقف
وقفي بمرفئي القديم لتشهدي
أن الرياح إذا حكّت صوتي الخفي
لججّ تسافر في دمي وكأنها
من عهد نوح تكتب التاريخ فيّ
أوقدت من زيت ابتهالي غربتي
ولهيبها ما كان يوما منصفي
فإذا عشقتك باردا فتهيئي
ماذا يكون الحب إن لم أعصف؟
ظلي اذكريني رعشة شتوية

روح المساء تبثها بتلطف
وتألمي سحب الشمال لأنها
حزن تجمع من جراح تكتفي
كل العناصر في تجسدها أنا
لكني بملامحي لم أكشف
أنا لومرت على بخوري لحظة
سأحلُّ فيك مذوبا قلبي الصفيّ
فإذا ابتسمتُ رأوا بوجهك شرعتي
وإذا بكيتِ عرفتِ أن الحزن فيّ
رغم التغرب لي لأجلك موطن
يسع اشتياقك لي بحجم تصوّفي
فإذا عرفت بأن جفنك قد غفا
ورحلت دون تحية.. لا تأسفي
عاراً أنا ثوبي دثارك دافئ
وأنا الغريب جعلت جلدي معطفي.

مقام عراق

عدني بأنك لن تكون قصياً
لوصحت في الرَّمق الأخير «إليّ»
وامتدّ نحو الصدر نصلهم الذي
بالأمس كنتَ -إذا أغار- حمياً
أدري بأن الغيب عذرك أنني
في المنتهى قد لا أراك دنيّاً
لكنّ إيماناً يضيء بخافقي
أنّي سأرجع من فراك حيّاً
عد يا عراق إلى عراقك مرّة
فالأرض دونك لا تساوي شيئاً
ناديته: هل متّ؟ فارتعش المدى
واغبرّت الصحراء في عينيّاً
هل خفتَ؟ «كلا! تلك بعضُ نبوءةٍ
قُصّت عليّ وكنتُ بعدُ صبيّاً»
وسمعت قلب الأرض يهتف باسمه:

«قم يا عراق» من الرماد ندياً
فأتى الصدى يختار كالفرس التي
بالنصر عادت والقَتيل سويّاً
وأجابني رجّع، وأحسبه الفرات
كأنه بعث النداء خفياً:
«ما مات! بل هي خُلوّة من قبل أن
يوحى إليه بأنّ يعود رضيعاً»
هَبّ النسيم، ولا عراق أرى له
أثراً، وعدت كعادتي منسيا
وقفلت، لا درب يحدد وجهتي
أسفي، ولا وطن أراه لديّ
أولى أنا بدمي، وبالدمع الذي
من مقلتي هوى، وبني منفيّا
ثم السلام علي يوم يعود للدنيا العراق...
هناك أبعث حيا

فيروز

مهداة إلى السيدة - فيروز - صوتاً وأنوثة

البحر يحتضن السحائب
مثلما يغفو الكمان على ذراع العاشق
الباكي زمان الوصل بعد الأندلس
تساقط الألحان دمعاً والنوارس حين ترتعش
المياه
تصيح آه.. والمرافئ قد أصيبت بالخرس
وعلى الرصيف زوارق صُفَّتْ
كعقد حول جيد صبية غجرية الأنفاس
ترشف من أكف الموج همساً
حين يخنقها اليبس
والمنزل البحري مرتعش
عويل الريح يعبث بالجرس
من رقعة الشباك مذياع يردد
-أعطني الناي-

الأغاني كالأماني في عيون الطفل

يا -فيروز- والعمر انتكس

-فيروز-

أخيلة الملائكة الصغار تطوف ليلا في

شوارعنا

تقلب أوجه المارين

تبحث عن بقايا الأندلس

عن ما روى -النعمان- عن -ماء السماء-

وما أتى من -مالك- ينبيك عن رؤيا -أنس-

-فيروز- صوت مرابط

أعوامه العشرون تاهت في جدائل طفلة

تنساب خلف وشاحها

كالشمس في ذهب الصليب

سباه لون عيونها لما اختلس

فأحبها.. وأحтар... بينهما المضيق

وقومها

ويصيح فيه الوهم

(يمكن أن...)

وتنسحب الظلال حزينة

ويسيل لحن العود جدول غربة
من مائه ترد الفرس
-فيروز- ردي قلبه
غنيه عن قمح تراقصه النسائم
عن عبير النرجس البري
يرسل في الأصيل لهاثه
عن طفلة أخرى تخبئ وجهها
لما تميز عطره بين الحرس
-فيروز- دفء المعطف الشتوي
طعم القهوة السوداء رشت بالدموع
وحيدة تلك العجوز.. وطائر
للريح يحتسب الجناح
قبيل عاصفة تهم
وما أحس
والعود يرسل لحنه
قصص الهوى طارت حبيبي
كالعصافير الغريبة
حينما عاد الشتاء
-فيروز- خبي في عيونك ضعف كل محاصر

بالبرد... في نبل التفاتتك التمس

دفئا... يناشده النفس

-فيروز- حلم الشاعر المنفي

خلف مدى العيون الزرق

دمعة أمه تأتيه والنوم احتبس

جرح الكمان يمر لمحة خاطر

رؤيا حكايا حيل بينهما

ووجه بلاده

في الليل يومض كالقبس

-فيروز- ناشدك الغريب معطرا بصلاته

ناج النسيم أيا هوا

-دخل الهوى-

خذني إلى وطني

و-بس-

أثرٌ من القلب القديم

كفّي البكاء على السّجاد والتفتي
لعلّ عرياً تبدّى بين أغطيتي
تفقّدي الحلم، علّ الغول أفرزني
ولوّني بالغناء السّمح أخيلتي
وعمّديني بآيات مبلّلة
بما تعطرّ من ريق على الشّفة
حتّى إذا ذبلت عيناى وانسدلت
وأفصح الوجه عن شيء من الدّعة
فلتقذفي الرّوح في يَمّ الكرى فعسى
رسا الفؤاد بورد الحلم في الضّفة
ستبحر الرّوح في بحر الصّبا لأرى
جميلة القسم في بستان مدرستي
تمرّ قرب ظلالى ثمّ أمنحها
من -لمجتي- لقمة تسقى بأسئلتي:

«هل تشعرين بهذا النبض؟ هل عرفت
يداك رعشة كفي؟ هل...؟ معذبتني؟
تورّد الخدّ والكفّ التي انسحبت
وشعرها الليل معقود بأوردتي
لم تعرف الحبّ... لم أعرف وضيّعنا
صمتٌ وجاء سريعا آخر السّنة
وغيب الصّيف ذكراها وظلّ هنا
غيم من الحزن يبكي شحّ أزمنتني
لم أدر ما بي... وكانت تلك أحجية
كنخلة في صحارى خافقي نمت
تسقى بأسئلة والطّفّل في رأى
رطب الإجابة في عيني معلّمتي»
«شيء غريب هنا في القلب يشعّرنني
أنّي أموت وهذا العمر بعد فتّي»؟
تضمّني وهي تدري أنّ بي ألمٌ
فتنفخ الرّوح -روح الحبّ- في رثتي
تقول لي: «سوف تغدويا فتى رجلاً
ليعرف القلب معنى الحبّ في اللّغة»

كبرت لكن قلبي ظلّ معتصما
بدهشة الطفل إذ أرنو إلى امرأة
كل النساء أحاج لا أفسرها
وكل لغز صحا في كف سيّدة
فكيف يفصح نائي عن لظى كبدي
وبحة الناي تاهت وسط أغنيتي؟
وكيف أتلومزاميري لفاتنة
تمر فوق جروح القلب في ثقة؟
أمي. وكانت ظلال الفجر توقظني
ما ندّ في سحرها صوت لمئذنة
وكان نعل أبي بالباب أسمع
يوصيك بي ثم يمضي هادئ السّمة
وكنت تبكين والفجر الغريب بكى
أكاد ألمس طعام الدّمع في شفتي
وكان آخر عهدي بالغريب أبي
وآخر اليتيم لا أحصيه يا أبت

فلتسألني الفجر عنّا كيف أن لنا
غيما من الحزن يهمني والدنا صحت

دعي البكاء قليلا إِنَّني تَعَبُ
ورثي هذه الفوضى بأوردتي
ورثلي سورة الإسراء علَّ هوى
يسري إليَّ ويجلوليل أزمنتي
وذكري طفلة في الرُّوح مسكنها
أنيَّ أحنُّ لها والوقت لم يفتِ
وذكريها بساحات وقفت بها
أدقُّ بالحبِّ باب القلب في ثقة
قولي لها أنَّ ذاك الطفل ظلَّ هنا
وإن تهامس كلُّ الناس، لم يمتِ.

أغنية لقيصر والمسيح

فصلٌ أوّل:

هي طعنةٌ أخرى ويرفض «شكسبير»
أن يمنح المطعون وقتاً كي يردّد حكمة النَّفسِ
الأخير

لا وقت للمغدور حتى يستدير
لا صوت ندّ من الشّفاة الذابلات يقول:
(حتى أنت يا «بروتوس»! يا...) من أنت غير
خطيئة ندّت من الجرح الموشى بالحرير
طعنوك... والحدويّ لا يصغي إلى الفرس
الجريحة ما يهّمّ هوالمسير
فتحسّس الطّعنات علّك قد تميّز كل كفّ
من هنا مرّت لتكتب قصة الظّهر الكسير.

فصل ثانٍ:

وجلست تحكي للحواريين عن فردوسك
الآتي وأخبار القدامى
وتبارك الخبز اليتيم تريق نرفك في الكؤوس
وتمزج الدمع المداما

والليل كحل المجدليلة سح إذ تبكي ظلاما
لا عذر كي ترتاب من صمت الحواريين
والأنخاب ترفع... نام ذئب القلب والشيطان
ناما

وأدرت ظهرك باسماء.. صليت كي يلقي الإله
على الحواريين في الفجر السلاما
لم تدر أن الصمت في عيني «يهودا» كان
يخفي سمَّ غدر... وانتقاما
باركتهم مُترنِّمًا: (أنتم ظلال الأنبياء وعصبة
الأنصار في وحي الإله ببردة الرُّسل القدامى)
صافحتهم لم تدر أن الدفء في كفي «يهودا»
حرُّ مسمار الصليب مصافحا فيك العظاما
لم تدر أيهما أشدُّ:

-الخبث في عيني «يهودا» إذ تشفى
وهوييصق فوق أشلاء الندامى؟
- أم ذلك الحزن المعتقد في عيون المجدليلة...
من لها بعد المسيح ومن سيرأف باليتامى؟!!

فصل ثالث:

ستون عاما يا «سمنار» الرفيق
يقتات من دمك «الخورنق»
كي يصافح نخلة ويمد للبحر الطريق

كنت السفينة ثم حين البحر لجّ تعلقوا بك
يا صديق

فَنَجَّوْا ووحّدك صاحبي كنت الغريق
ولمحت في الملح الأخير بشرفة القصر
النوارس.. هل تراك ضحكت؟ أم سحت
دموعك كي تزيد البحر مسكا إذ رأيت ملامح
الوجه الصفيق؟

يا أيها «النعمان» نم فالقش لا ينجيك
لو يصحوا الحريق

فصل أخير:

يا صاحبي منحوك موتا رائعا لم يعلموا أن
الرماد مبشّر بجناح فينيق جديد
وكأنني أصغي إلى نبض يبشّر بالوليد
طعنوك لم يدروا بأن الروح ليست دفقة
سحّت إذا قطع الوريد
الروح تسكن ههنا (وأشير حيث الغيم حرّ
ليس يدركه العبيد).

قبل البدء

لم أدر أيُّهما في خلقه سبقا
سواد عينيك أم ليلى الذي نطقا
كلاهما سرمدى لا حدود له
وفيه عاقرت كأسا شُبِّعت أرقا
مداهما البحر بالأحزان مكتحل
ومركبي قبل أن يدنوهما احترقا
وشابه الضوء في عينيك إذ ضحكت
ليلا بأول خيط الفجر قد فلقا
أسري أريد ضياء كان خلفهما
وكلما كدت في إدراكه مرقا
كأنني في دواة محكم فمها
أنى سبحت ألقى الحبر والغرقا

تنجيم

ما قصة الصّوفيّ حتى يسكرا؟

ويزيده العشق القديم تصبّرا

ما مرّ ليل والنجوم فقدنه

وإذا أفلن رأته كالنجم الذرى

صلّى أقام الذكر في سكناته

وإذا تحرك خلته ماء سرى

ينساب نبعا والبكاء دليله

لومسّ صخرا لا يحنّ لأثمرا

عود يخطّ به النحول كتابه

عينان تكتحلان صبّرا أخضرا

هي دورة أخرى، يقول بسرّه

وضنى يخاتله ليلتمس الكرى

طيف يراقصه البخور كأنه

أثواب -رابعة- تحيي العنبرا

كلّ اللواتي قد عبرن مدائني

يعجبني من حزن يؤرخه الثرى
في كل خط من يدي امرأة سرت
كالماء سرّاً لا أراه مفسراً
وقبضت كفي لم أجد لمسيرها
أثراً، وخطوا الصبح تخفيه السرى
عرافتي العمياء تقرأ في يدي
سرّ الهوى ورؤى تسامت للذرى
ونبوءة العراف قصة شاعر
ما عاد يمكن بالهوى أن يشعرا
«قرب إلى خطوط كفك دلّني
عماً تريد من المخبأ في الورى؟»
أنثى، وروح الشعر، والوطن الذي
في القلب نام وبالشغاف تدثرا
عرّافتي العمياء إذ تركت يدي
قالت: «بنيّ خطوط كفك لا ترى»

فيروز...الليل والمطر

تقول إذا اقترب الليل -فيروز-: «يا زائري في
الضحى»

ثم لا نلتقي...وتصير المسافات أطول
كالنيل...أحزن..كالقاهرة

و -فيروز- تنأى... ويسلمها الشطّ للباخرة...
يقول لي الناي: «أغنية عابرة»

فيقطعه العود وهو يئن: «أظن بأن الهوى
ههنا...»

ويشير إلى الجرح....

«لا تعتقد أنه القلب أو أنها الذاكرة»

تقول لي الريح وهي تقلب ما ظل في شارع
الحب:

«إن الهوى مثل -فيروز- يبدأ في لحظة آسرة

ولست أرى ما سينجيك منه سوى الموت
والآخرة»

أقول:

«سأبقى أفتش عن وجه -فيروز-

في كل منفى،

وفي كل حزن تجسده ليلة ماطرة».

مدينة المطر

المشهد الأول:

مطر... زائر الحي يشرب من جرة الحب إلى
على نفسه أن يزور مدينتنا مرتين،

أوسجين بكهف قديم تحين فرصة فض بكاره
هذا السحاب لينشغل الناس بالحنن حتى
يغافل سجانته ويمد لشارعنا خطوتين،

مطر.. وجه أنثى تكشف في صدرها
الحنن، غامت ملامحها ثم -كي تطفئ النار
في قلبها- سكبت دمعتين،

والمزاريب تشبه تلك التجاعيد في خد سيدة
خانها العمر تلقي مواجهها فوق قبر الحسين،
وتناشده كي يعيد إلى خصرها سحره

وإلى شعرها دفقة الليل حتى تعود أنوثتها
لحظتين،

مطر للمدينة حيث أنا... والخطى تسأل
القلب «أين»؟

تتعري المدينة حين تراودها قطرة من مطر

ويد لغريب تسول من قلب أنثى الحياة ولم
ينتبه أن في صدرها كتلة من حجر،

والمدينة تشبهها امرأة خبأت سرها تحت
سمك المساحيق،

حتى إذا ما بكت كشفت عن قبيح الصور،
بين تلك البنايات يختبئ القبح مستترا عن
عيون البشر،

فإذا أمطرت سار محتملا عريه وعصاه يهش
بها عبثا نظرات اليتامى الشريدين والبؤساء
المدانين بالجوع والعري حين يغني المطر،
ومدينتنا قهقهت في أزقتها الريح تسرق من
كل بيت قناديله وابتسامة طفل غفا يتخيل
شكل القمر،

مطر لملامح تلك المدينة حتى أراها كما
خلقت مطر للخريف البوهيمي حين يعري
الشجر،

مطر لفمي ولظهري يقول لخنجر من عبروا من
هنا:

«كيف حالك بعد دمي؟»

مطر للمطر...

المشهد الثاني:

كل ما فيها قديم متهالك

الجسور... الصخر... عادات البيوت... المطر
الشتوي... بحات العصافير... الدكاكين...
الوجوه... الليل... والأفراح... حتى غدك الآتي
على سرج خيالك...

كل ما فيها يحيي غربة اللون على لوح ظلالك
أهلها جاثون يجترون ذكر الأمس «يا حسرة...
كنا..»

ويبيعون الأساطير لأطفال ينامون على المجد
المغنى، ولفافات الحشيش
هذه الأحياء في الفحش تعيش

ترتدي في الصبح ثوب الراهبات

«يا صباح الله... يا أرض احفظي ما سار
في صدرك... يا فتاح... يا رزاق... يا رب...
الثبات»

وإذا الليل تمطى فوق أسوار الحوانيت تصوير
الأرض ملآ بصياح المومسات...

و -قسنطينة- تعوي... ذبّة في كبد الليل..

تتاجي قمرا ما عاد يصغي لأنين النادبات...
كل ما فيها بذيء يسرق الضوء من الروح
ويحيي في دم القلب الموات....

المشهد الثالث:

هذي المدينة كالبغي تقول للرجل الغريب
مفاوضا عن سعرها:

«الله غالب! خذ عجوذاً إن أردت السعر
أرخص...»

ثم تنفخ علكة في وجهه وتقول:

«يا فتاح يا رزاق.. هذا اللحم ينتظر الجياع!»

كم من غريب خاب في هذي المدينة.. كم
فتى تركته سيدة على باب المساء معلقا..
يهذي ويسبح في الضياع:

«ماذا تغير؟»

وجهك السمع المحاط بهالة التسبيح
أظلم...

شعرك الليل القديم غزاه شيب الوقت..

عيناك... الملامح... عطرك ال.... ويداك
باردتان في هذا اللقاء..

القلب يعرف لا يزال وشاحك الذكرى...»

أمر بحزنه وأهم أن اذروبساحته الدموع وما

تيسر من رثاء

إذ يقاطعني أنين مشرد كنسته كف الريح عن
باب البناية:

«لم أنم من فرط جوعي...»

كفه حاكت رغيفا ديس في الطين...

استعرت من المساء اللامبالاة القديمة ثم
سرت لخطوتين وقلت في سري:

«الفقير الحق لا يتسول المارين... سل
غيري...»

سمعت العاشق الباكي يقول بغصة:

«خذ ما تشاء من النقود وأعطني قلبا لأنسى»
أذن العصر... المساجد قفرة... والسوق ملء
اللاهثين تنهد،

.. الأسعار تربو... قيمة الإنسان تهوي...

وحده الملح استحق قرابة الإنسان...

في وجه المدينة سر أنثى استأثرت بالحسن
لاحقها الرجال الخاطبون...

تمنعت واستيقظت والوجه صار كقطعة
الأرض البوار بها مسار الماء جف... ا

لعمر جف ولا عزاء لها سوى المواويل الحزينة

والدموع

أوقد بهذا الليل ما شاء الفراغ من الشموع...
ستري المدينة.. كالبغي... تجود بالجسد
الفتي على الغريب
تعود قرب الفجر تقنع حارة الفقراء أن ثيابها
للزهد كانت...
إنها كانت تصلي..

ابتهال..

لعينيك اللتين...صحا اشتياقي
يبث إليهما معنى احتراقي
يغيم الوجد فوقهما بخورا
ليمطر مسك ما ترجو السواقي
وتلك قصائدي وجع قديم
يفادر خافقي كدم مراقٍ
ضعي كفيك في صدري لعلّي
سأخمد ما ذكا بعد اشتياقي
وعيناى اللتان... خبا بريق
وكان يضيء في زمن التلاقي
أهم بأن...وأخجل..كيف أخفي
وأحزاني تضيق بها المآقي
كحشجة تجرح حلق طفل
يشب بصدرة يتم الفراق

وما الغيمات إلا رجع قلب
إلى الرحمان يشكوما يلاقي
سألجاً فيهما هرباً بشعري
وأهرب منهما يوم التلاقي
غريب أمر هذا القلب يأوي
لسجن ثم يرغب في اعتناق
ولكنّي... وقد صمّ المنادي
فما فكّ المنادي من وثاقٍ
سأعرج فيهما فهما سمائي
وشعري وابتهالاتي براقي
وأحكي عنهما للشمس إنّي:
حزين مثل أطفال العراق.

المطر اللأموسي

مطر الصيف لا يغسل القلب من آية الحزن
لا يمنح الشارع الوقت حتى يريح حجارته من
خطى المعدمين
مطر الصيف ملح على الجرح يوقظ ما شف
من ذكريات الحنين

والمدينة سيدة نام في حجرها الفقر طفلا
سيستعطف العابرين
ثم لا خبز في زحمة الظهر... فالطيون هم
الفقراء

«أنا مثلك الآن» قال المساء المحمل
بالحزن والبائسين

وعلى شرفة أيقظت طفلة زهرة كان
يغفوبأوراقها ما تعتق من حلم ذبلته السنون
أيقظي القلب! لن يرجع الراحلون
ستسح السماء كعادتها حين ينتحب الماء

في رحم الغيم

والصيف لا يمنح الأرض موعدها كي تفيق
الرياحين في الشرفات الحيارى..ولن يورق
الياسمين،

خبئي دمعك.. احتسبي الحب للموسم
المقبل..انتبذي القلب تلقاء ورد التجمل
بالصبر.. فالصيف لا يمنح الروح منسكها...
ليس للصيف عاطفة كي ينيخ المراكب للحلم
والحالمين..

مطر الصيف في سنة الكون محض سراب
يغطي اليقين،

لا تديني بشرعته واكفري بالغيوم وصلي ليأتي
الشتاء بموسمه...

ثم صلي....

المدينة الفاضلة بين قوسين..

يفصح الصبح عن سرِّ حاضرة
تدّعي الزهد ليلاً
وتصحو على قبلة الشمس فاضحة عريها
تحتفي بالنهار
وبالعابرين القدامي المصابين بالقهر والحبِّ
تفتح أذرعها للنساء المحاطات بالعطر والوهم
تحضنهنَّ
تلبّسنَّ ليصبح للعرى عذر
عسى تتقي نظرة من مآذنها
في مدينتنا
لا تباع الجرائد..
لا وقت للإطلاع على خبر اليوم
لا وقت إلا لتقرأ في خصر عابرة
-حدث العام-

أوفي.....» تخيّل ترى لقطة اليوم حين
تفاجئها الرّيح
وهيَ تهَمُّ بأن تتركب الحافلة
ليس في الوقت متّسع للجرائد في شارع
يكتب الشعر
فالصفحات الصدور مهيأة للقصائد
والحبر كحل النساء
في مدينتنا
طفلة ثوبها شَفّ لم يرحم الشيخ
كان يسبّح ثم تملّكه السحر... «يا ضيعة
الظهر والعصر في عصر مجرمة مثلها»
يخفض الشيخ ناظره
ثم يرفع شابّ هناك يغازلها صوته بالغناء
وتهتف مئذنة «إنّه المغرب انتشروا»
وتسرّح كفّ الظلام عن الشارع النّاس
تخفي مفاتها مثل عادتها في الظلام مدينتنا
... وتصلّي....

قصة غريبة

كنا صغاراً حينما دقت على بابي لتستلف
الدفاتر ساعتين لكي تجرد ما تخلف حينما
غابت... وتخلق عذرها حتى تسرب لي
قصاصتها وقد رسمت عليها شكل قلب
زينته بأحرف اسمي والعبارات الجميلة من
قصيدة شاعر عرفته في كتب المطالعة
القديمة لأختها،

ولأن عاطفة الطفولة أربكت تفكيرها لم تنتبه
أن المخاطب في القصيدة طفلة أخرى
ستشبهها إذا كبرت وظل القلب حيا كي
يجرب لحظة أخرى بتوقيت الهوى..

لم أنتبه أيضا ولن!!

وأعادت الكراس لي خجلي ومدت عطرها
حتى يقول لساذج مثلي: انتبه! وانظر لوقفتهما
ورعشة كفها والسر في عينين بينهما الترقب
والرجاء ونظرة ما لا يفسرها الكلام... ونسمة
رقصت تداعب شعرها،

شكرا على الكراس، قالت حين سارت
خطوتين وقبل أن أنسى ابتسامتها استدارت
ثم قالت: حين تقرأها أجبني!

ثم غابت والمساء معطر بالياسمين.

لم أفتح الكراس لحظتها! انشغلت بحلقة
لمسلسل الكرتون... لم أفتحه حتى كدت
أغفو ثم باغتني الأرق.

كتبت: «أحبك!»، ما الذي تعنيه؟ قلت بقلب
طفل كان أقصى فهمه في المفردات: «أريد
حلو!»

ثم مزقت الرسالة خوف أن تقع العبارة في
يد أخرى ونمت مفكرا بالحب: ما معناه؟
ما فحواه؟ كيف تعلمته؟ أين تعلمته؟ وكيف
أجهله أنا؟

لم أستطع في وقتها تفسير معنى أن تحبك
طفلة ببساطة الأطفال دون كثير فلسفة في
الحب تقتله كما فعل الكبار!

وغدا وفي القسم انتظرت بأن تبادرني
كعاداتها ببسمتها ولكن خاب ظني حين لم
أجد الجميلة قرب طاولتي.. استدرت ولم
تكن...

لم تأت في هذا النهار، لربما خجلت من

التحديق في عيني حين تكشف أسرارها!

ومضى النهار وكان يفقد لونه، لم يصدق

العصفور في الغصن القريب ولم يسافر في

النسائم عطر ورد..

لم يكن في الكون شيء يستميل مشاعري..

ورجعت شارد خاطري لا شيء غير عيونها في

القلب، هل ذاك الهوى؟

وقصدت شارعها لألقي نظرة علي أراها، غير

أني لم أجد في الباب غير النعش ثم سألت:

من؟

قالوا:.....

وأترك شاعراً غيри ليخترع النهاية!

الفهرس

5.....	الإهداء.....
7.....	عتبة لا بدّ منها.....
9.....	عتبة ثانية لا بدّ منها.....
13.....	آياتٌ من سفرِ الآباء.....
15.....	أغنيةٌ لبَنَاتِ الشَّمس.....
17.....	مسرى.....
21.....	عن الأرض والأغنيات القديمة.....
27.....	أحبك مؤمنا.....
31.....	حلول.....
33.....	مقام عراق.....
35.....	فيروز.....
39.....	أثرٌ من القلب القديم.....
43.....	أغنية لقيصرو المسيح.....
47.....	قبل البدء.....
49.....	تنجيم.....
51.....	فيروز... الليل والمطر.....

53.....	مدينة المطر.
61.....	ابتهاال.
63.....	المطر اللأموسمي.
65.....	المدينة الفاضلة بين قوسين.
67.....	قصة غربية .

